

هذا الجنرال انتقل واصبح مأمورا لمديرية السجون . اقول انه حتى حاييم ليفي هذا اعترف قبل يومين ان الغرفة التي تتسع لعشرة يزج فيها بعشرين - لاحظ انه يتشكى من اوضاع السجناء اليهود لا العرب - لانه لا يكثر بنا حتى لو متنا جميعا نظرا لظروف السجن الصعبة . اقول ان الجنرال كان يتشكى من اوضاع غرف السجناء اليهود ناشدا الحصول على ميزانية اكبر . لاحظ ان هذا الكلام كلامهم هم انفسهم . فتصور انهم يشكون سوء اوضاع سجنائهم هم . فلك ان تتخيل اذن الوضع الذي كنا نعيش نحن العرب فيه . اقول لك انهم لم يعترفوا بنا حتى كبشر من الدرجة الثالثة . لكن نظرتهم لنا كانت تتمثل في اننا يجب ان نبقي على قيد الحياة . كانوا دائما يقولون لنا بعربيتهم المكسرة : « فتح وبتخكي كمان » . فبقاؤنا على قيد الحياة حرام بالنسبة لهم . ان قولهم هذا يعني ان مجرد انتمائي لـ « فتح » يجب ان يحرمني من حق الكلام . فقد تتصور ان سجناء الغرفة ثلاثة او اربعة . ولكن الحقيقة اننا مررنا بفترة - وبدون مبالغة - انني حين اكون نائما الى جانب زميلي المعتقل فليس لي من مكان سوى بلاطتين ونصف وبالتالي لا تستطيع ان تظلي راقدا على ظهرك طوال الليل ، فاذا ما تقلبت على جانبك الايمن او اليسر فسوف تزعج زميلك المعتقل وتوقظه وتقلقه ، وبالتالي تضطر الى الرقاد على جانب واحد طوال الليل مانعا نفسك من التقلب . فما يسمونه هم بالغرف كان في الحقيقة جزءا من الجحيم .

الاكس : هي عبارة عن زنزانة ، ولكن الفارق بينها وبين الزنزانة ، انها تحتوي على مرحاض وماسورة مياه نسميها « الدوش » . وهذه الاكس تحتوي على فئتين من الناس . فهي تحتوي على العناصر الذين يسمونهم بالمشاغبين او المحرضين او زعماء الفصائل ، او الشخصيات القيادية في المعتقل .

والاكس طوله متر ونصف تقريبا وعرضه ثمانون سم ، لدرجة انك لا تستطيع مزاوله اي نشاط عادي فيها . ولكن المقصود منها هو عزل المناضل . فهم يسمونها الامكنة الانفرادية . حيث يعزل المناضل عن بقية رفاقه واخوته للحيلولة دون عملية التاثر والتأثير . وطبعا يفترض في الاحوال العادية ان لا ينفق المعتقل فيها اكثر من ستة شهور على الاكثر . غير انهم كانوا يزجون بنا فيها لسنوات وسنوات . مثلا .. انا شخصا انفقت في الاكس ثلاث سنوات في سجن « شطة » ، واحتملنا وغالبنا اليأس فغلبناه ، علما بأن سجناءهم هم من ابناء جلدتهم ما كانوا يطبقون البقاء لايام معدودة في « الاكس » بحيث ان اغلب السجناء اليهود الجنائين اقدموا على محاولات الانتحار . ولقد انتحر احدهم فعلا رغم انه لم يكدينفق شهرا واحدا في « الاكس » . وحصلت محاولات عديدة للانتحار وقطع الاوردة رغم انهم كيهود لا ينفقون في مثل هذا المكان سوى عشرة ايام او شهر في الاكثر . غير انهم كانوا يعجزون عن احتمال وضع الاكس الصعب فيقدمون على الانتحار . اما نحن فكنا نحتمل البقاء في الاكس لسنوات وسنوات .

الاكس اذن هو للاشخاص الامنيين الذين يعتبرهم العدو من قادة الفصائل . ولا زال لي اربعة اخوة يعيشون الظروف نفسها . والاكس ، من جهة اخرى ، يحتوي على فئتين من الاسرائيليين . الفئة المطلوبة للسجناء انفسهم : يعني شاهد الملك وشاهد النيابة واللااخلاقيين والجاوسوس والعميل . وهؤلاء السجناء يزج بهم في الاكس من اجل حمايتهم من السجناء الآخرين . فهم سجناء يتواطأون مع ادارة السجن نفسه . ومن جهة اخرى - بالنسبة لليهود ايضا - تحتوي الاكسات على زعماء السجناء الاسرائيليين ، اي القبضايات ، وزعماء العصابات ، حتى لا يكون لهم تأثير على السجناء . وهنا تكمن المفارقة .

لقد قرأت يوما عن مناضلة زج بها في سجن النساء ، وهو سجن مدني يحتوي على المومسات . فاشتكت المناضلة للراية المسؤولة عن المكتبة . فما كان من الراهبة الا ان قالت لها يا بنياتي حين تريد السلطة النيل من كرامة المناضل وكبريائه تضعه الى جانب السجناء الامنيين . فتصور حين يضعوننا مع اسفل النوعيات من السجناء الامنيين . هنا يضاف الى العذاب المادي والممارسات اللااخلاقية للنيل من معنوياتك وكبرياتك ، انهم يضعونك في مكان ولا اخجل من وصفه بأنه بيت دعارة وليس سجننا فقط .

شروط الاكس تختلف عن شروط الغرفة . في الغرفة تأخذ ساعتين مما يسمونه بنزهة شمس ، اما في الاكس فيكتفون بساعة واحدة . وممنوع الاتصال بزملائك . اما في الغرف فمن الممكن ان تطلب من السجن ان يجلب لك سيجارة من غرفة ثانية مثلا . اما في الاكس فلا يسمح لك بسيجارة او نقلها . ثم المعاملة نفسها تكون اشد قسوة من المعتاد على اساس انك موضوع في الانفرادي ، وانك مشاغب ومحرض وبحاجة الى دوزة تأديبية في هذه الاماكن حتى يعاد تحسين تربيتك اي تدجينك وترويضك ، والسير حسب قيمهم الاخلاقية . طبعا نحن كنا نفتخر بافتقارنا